إليس فى أرض العجائب

بقلم
الدكتور نظمى لوقا
الأستاذ بكلية المعلمين

١ — حياته ومؤلفاته

ولد « تشارلس لوتفيدج دودجسون » — الذى عرف باسم « لويس كارول » — فى الثانى والعشرين من يناير سنة ١٨٣٢ فى قرية صغيرة تدعى «ديرسبيورى» من قرى تشيشاير بانجلترا . وهو سليل أسرة قديمة معروفة فى مقاطعة يوركشاير بمن أنجبتهم من رجال الكنيسة ورجال العلم المتخصصين فى الدراسات اللاتينية والعلوم الرياضية . وكان والده تشارلس دودجسون من علماء الرياضة البارزين ، ومن المتضلعين الثقاة فى اللغة اللاتينية ، وهو فى الوقت نفسه رجل دين ، تقلد عدة مناصب كنسية كان آخرها منصب رئيس كهنة كاتدرائية ريبون . وقد تزوج من قريبته « فرانسس جين لوتفيدج » وأنجب منها أحد عشر طفلا ، أكبرهم كاتبنا الرياضى المنطقى صاحب أشهر وأخلد قصة للأطفال فى اللغة الإنجليزية ، ولعلها تحتل مكان الصدارة فى لغات العالم المعروفة كافة .

وكان والده حين ولادته كاهناً فى قرية « دير سبيورى » ، والكنيسة وبيت الكاهن يبعدان عن مساكن القرية نفسها ميلا ونصف ميل ، فظل الصبى الأحد عشر عاماً الأولى من عمره فى عزلة كاملة تقريباً عن العالم ، لا تؤنس وحدته إلا صحبة اخوته واخواته الصغار ، وبضعة نفر من أبناء الجيرة المختارين ، أبرزهم « فير باين » ابن ناظر مدرسة وارنجتون الأولية الذى غدا صديق عمره .

وكانت نشأته الأولى مطابقة من جميع الوجوه للأصول المتبعة يومئذ فى تربية الأطفال ، ولكنها كانت — لحسن حظه — نشأة خالية من القسوة المفرطة ، فأجيز له أن يتلهى بألوان التسلية وازجاء الفراغ التى يختارها على هواه ، وكانت أحبها إليه مسرحيات العرائس . وهو الذى يقيم المسرح ، ويصنع عرائسه ، ويؤلف رواياته ويخرجها بنفسه . وفى بعض الأحيان كان ينشىء خطاً حديدياً بدائياً لنقل الركاب فيما بين محطات يبنيها فى الحديقة الواسعة . وقصارى القول أنه كان ذا موهبة فى ابتكار شتى الألاعيب للترفيه عن اخوته واخواته فى ذلك الركن المنعزل عن الدنيا . ومنذ طفولته أظهر نضجاً مبكراً وخصوبة خيال وعقلا متفتحاً لطلب المعرفة والتنقيب عنها فى لماحية وسرعة بديهة وفطنة إلى ألوان المفارقة وجوانب الفكاهة .

وفى سنة ١٨٤٣ — وللصبى يومئذ من العمر إحدى عشرة سنة — انتقلت الأسرة إلى « كرفت » وهى من قرى مقاطعة يوركشاير حيث تولى والده منصباً كنسياً أرقى من منصبه السابق ،وفى السنة التالية أرسل تشارلس الصغير إلى مدرسة رتشموند حيث برزت مواهبه العقلية بصورة استرعت الأنظار . وفى فبراير سنة ١٨٤٦ دخل مدرسة « رجبى » الشهيرة وكان ناظرها وقتئذ هو الدكتور « تيت » الذى صار فيما بعد كبيراً لأساقفة كنتربرى . وكانت حياة الطلاب فى مثل تلك المدرسة فى ذلك العهد قاسية لا تكاد تطاق إلا لمن أوتوا بلادة فى الحس . وقد حمل تشارلس لهذه الفترة من حياته الدراسية أسوأ الذكرى ، فقال إنه ما من قوة فى الأرض يمكن أن تغريه بتكرير هذه السنوات التى قضاها فى مدرسة « رجبى » .

ولكن ضيقه بهذا الاعنات الصارم لم يحل دون تفوقه فى الدراسة هناك ، ولا سيما فى الرياضيات واللاهوت . واستطاعت مثابرته ومتانة خلقه ووقاره واستعداده العقلى أن تفوز له باحترام أساتذته واعجابهم إلى أن غادر تلك المدرسة فى سنة ١٨٤٨ ، ثم نجح فى امتحان « القبول » البكلية « كنيسة المسيح » بأكسفورد فى مايو سنة ١٨٥٠ ، وأقام بالكلية للدراسة العالية ابتداء من يناير سنة ١٨٥١ . وكانت إقامته فيما بين سنتى ١٨٤٨ ، ١٨٥٠ فى بيت أبيه بكرفت حيث أصدر عدة مجلات منزلية لم تعمر طويلا .

ومنذ أقام بكلية « كنيسة المسيح » فى سنة ١٨٥١ لم يبارح أكسفورد إلى نهاية حياته مدى سبع وأربعين سنة إلا ليقوم بزيارات قصيرة قليلة لأصدقائه واخواته وعماته ، ولم يرحل إلى الخارج إلا مرة واحدة فى صيف سنة ١٨٦٧ حيث زار ألمانيا وروسيا .

وفى سنة ١٨٥٢ حصل على مرتبة الشرف الأولى فى الرياضيات ، وفى السنتين التاليتين حصل على مرتبتين للشرف فى الدراسات القديمة واللاهوت ، وفاز فى سنة ١٨٥٤ ببكالوريوس الآداب من كليته ثم عين بعد ذلك بعام أميناً مساعداً لمكتبتها ، وفى سنة ١٨٥٦ صار عضواً منتظماً فى هيئة التدريس بها وظل يشغل منصب محاضر فى الرياضيات حتى سنة ١٨٨١ .

وكان منذ سنة ١٨٥٣ يوافى مجلة « التايمز الفكاهية » بقصائد من الشعر ، وفى مايو سنة ١٨٥٦ — بعد تعيينه محاضراً للرياضيات بكليته — استخدم لأول مرة اسماً مستعاراً مهر به إحدى قصائده المنشورة فى صحيفة « القطار » ، وهذا الاسم هو « لويس كارول » الذى غلبت شهرته على اسمه الأصلى ، ودخل بهذا الاسم المستعار فى زمرة الخالدين .

وفى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٦١ رسم شماساً ، ولم ينخرط قط فى سلك الكهنوت ، وإن تولى إلقاء العظات الدينية فى كثير جداً من المناسبات على مسامع الكبار ، وفى أواخر عمره كان يفضل إلقاء عظاته فى جمهور من الأطفال .

والواقع أنه ظل طول حياته خجولا منطوياً على نفسه محباً للعزلة لا يألف الكبار ، ولو كانوا من زملائه فى الجامعة العتيدة ، أما فى محضر الأطفال فهو منطلق على سجيته سعيد بهم أشد السعادة ، مقبل على التحدث إليهم وايناسهم والائتناس بهم ، يقص عليهم أمتع الحكايات ، ويتلو عليهم صفحات من كتبه التى ألفها لهم ، ويلاعبهم أفانين من الألعاب اخترعها خصيصاً لتسليتهم ، منصرفاً بهذا « الهذر » — على حد تعبير زملائه الموقرين الوقورين — عن شئون الكلية والجامعة اليومية المألوفة ، وإن إشترك فى المناقشات الهامة التى تتناول المسائل الخلافية ، وألف بضعة كتيبات فى تلك المسائل ، وراسل عديداً من الصحف .

ولعل من أهم هواياته منذ صباه هواية التصوير الشمسى ، فقد برع فى هذا الفن حتى غدا من أبرع المصورين الفوتوغرافيين الهواة فى عصره ، وتعتبر بعض نماذجه التى صور بها أصدقاءه ولا سيما الأطفال

منهم أعمالا مرموقة بمقاييس عصرنا هذا ، على ارتفاع هذه المقاييس كثيراً عما كانت فى ذلك الحين ، منذ قرن من الزمان .

وفى يوليه سنة ١٨٦٢ كان مؤلفنا فى نزهة نهرية على متن زورق مع نفر محدود من صحابه ، فقص على ثلاث فتيات صغيرات شقيقات — هن لوريا وألس واديث بنات نائب المطران ليدل — قصة « ألس » ومغامراتها فى أرض العجائب ، فشغفن بها ورجونه أن يكتبها لها ليعاودن تلاوتها كلما تاقت نفوسهن إلى ذلك .

وفى عيد الميلاد من تلك السنة نفسها قدم إلى « ألس ليدل » مخطوط هذه القصة كاملا ، تحت عنوان « مغامرات ألس تحت الأرض » . ثم تسامع أصحابه بالقصة ووجدوا فيها لذة كبيرة مستطرفة فألحوا عليه فى نشرها على الناس . وفى أبريل سنة ١٨٦٤ تم الاتفاق على نشرها لدى مؤسسة مكميلان ، وقد صار عنوانها « مغامرات ألس فى أرض العجائب » .وصدرت الطبعة الأولى منها فى يوليه سنة ١٨٦٥ محلاة برسوم من ريشة السير جون تنيل ، فلاقت رواجاً عظيما على الفور ، وأعيد طبعها مراراً كثيرة فى حياة مؤلفها وترجمت إلى لغات شتى ، وصارت من الأعمال « الكاسيكية » فى الأدب الإنجليزى منذ ذلك الحين . وفى سنة ١٨٨٦ — أى بعد ظهور طبعتها الأولى بعشرين سنة — حولت إلى أوبريت ، وفى سنة ١٨٨٩ صدرت منها طبعة مبسطة لصغار الأطفال .

وتلت « أليس فى أرض العجائب » قصص أخرى من هذا اللون « الهذرى » أو « الهزلى » أشهرها « ألس ومغامراتها داخل المرآة » فى سنة ١٨٧٢ ، و « صيد الطير الخرافى » فى سنة ١٨٧٦ و « النظم والعقل » فى سنة ١٨٨٣ و « حكاية متشابكة » فى سنة ١٨٨٥ و « لعبة المنطق » فى سنة ١٨٨٧ و « سيلفيا وبرونو » فى سنة ١٨٨٩ ، و « ختام سلفيا وبرونو » فى سنة ١٨٩٣ .

هذه هى الكتب التى نشرها تشارلس دودجسون تحت اسمه المستعار « لويس كارول » ، ولكنه نشر كتباً من نوع آخر تحت اسمه الحقيقى ، وتلك هى مؤلفاته العلمية فى الرياضة والمنطق ، ومن أهمها : « الهندسة الجبرية المستوية » فى سنة ١٨٦٠ ، و « رسالة فى المعينات » فى سنة ١٨٦٧ و « مرشد الطالب فى الرياضيات » فى سنة ١٨٦٧ أيضاً ، و « قواعد التمثيل النيابى » فى سنة ١٨٨٤ ، و « اقليدس ومنافسوه المحدثون » فى سنة ١٨٨٥ ، و « المنطق الرمزى » فى سنة ١٨٩٦ . وهو آخر مؤلفاته ، إذ توفى إثر مرض قصير فى بيت ابن أخته بجيلدفورد فى ١٤ من يناير سنة ١٨٩٨ بعد حياة تمتع فيها بصحة بدنية جيدة دامت سبعة وستين عاماً ، لم ينجب فيها ذرية ولكنه أحب الأطفال ووهبهم على تعاقب أجيالهم فى بقاع الأرض جميعها متعة لا تقدر .

ولكن هل الأطفال وحدهم هم الذين يمتعهم أدب كارول فى « ألس ومغامراتها فى أرض العجائب » وما إلى هذه القصة من أفانينه الضاحكة اللاهية ؟

بل أن هزله ليفيض بالحكمة كما يفيض بالمرح والهذر ، كالبحر الخضم يلعب الولدان على شاطئه بالأصداف التى يلقيها إليهم ، ويتقاذفون بالرشاش وهم يلهون على صدره الرحب حيث لا يشق عليهم ماؤه الضحل ، وله أغوار بعيدة من غاص فيها خرج باللآلىء والمرجان .

هذه الأغوار المتعددة هى سمة أدب لويس كارول فى قصصه الضاحك . فقد فتنت الكبار مثلما فتنت الصغار ، حتى اعترض الكثيرون على العبارة التى كتبها تحت عنوان قصة « ألس فى أرض العجائب » وهى : « قصة تصلح لمن أعمارهم بين الصفر والسنوات التسع » وطالبوا بتصحيحها على النحو التالى : « قصة تصلح لمن أعمارهم بين الصفر والتسعين ، أو لأى عدد يتجاوزها من السنين » !

والسر وراء هذا التنوع فى المستويات العقلية لهذا القصص ، أنه فيما يقول البعض يخاطب الطفولة الخالدة التى لا تذهب السنون بنضارتها فى أعماق كل إنسان ذكى حساس ، مهما تقدمت به السن .

ويقول فريق آخر أن لويس كارول كان يلهو بالمنطق والعقل كما يلهو الصغار بالدمى واللعب ، وأن كل رجل ناضج يعيش تحت نير المنطق الصارم يروقه أن يتلهى بالعبث بذلك النير فى بعض الأحيان ، فيثأر لنفسه من الخضوع الذى يسومه إياه فى شئون الحياة ومجالاتها جميعاً .

إن الصغار تروقهم المفاجئات والغرائب فى هذه القصص ، أما الكبار فمنهم من يرتد إلى الطفولة وتستهويه هذه الغرائب عينها بروح الطفولة البريئة التى ارتدوا إليها ، ومنهم من ينفذ إلى البراعة العقلية التى يستخدم بها لويس كارول قوانين المنطق مثلما يستخدم اللاعب البارع مهارته فى السير على الحبل المعلق ، والرقص عليه ، لا لأنه يجهل قوانين الجاذبية والتوازن ، بل لأنه يعرفها معرفة أوثق مما يعرفها السائرون على الأرض المنبسطة .

انظر إليه مثلا وهو يورد هذا الحوار بين ألس وأحد شخوص القصة :

— لماذا تجلس ها هنا وحدك فى عزلة ؟

— أنا وحدى لأنه ليس معى أحد ! أحسبتنى أجهل السبب فى وحدتى ؟ ما أسهله من سؤال حقاً ! سلينى غيره !

وهو كلام قد يبدو هذراً ، أو عبثاً ، ولكنه هذر مبنى على معرفة وثيقة بالمنطق ، بحيث يسعه أن يبرز الجوانب السليمة منطقياً سلامة « صورية » كما يقول المناطقة ، وهى فى الوقت عينه سخيفة عقلا ، لما فيها من عفلة عن الغاية من السؤال ، أو غفلة عن « موضوع الكلام » كما يقول أسلافنا .

« الإنسان يكون وحده لأن لا أحد معه » .

هذه قضية لا غبار عليها منطقياً. ولكن المقصود من السؤال أساساً شىء آخر غير هذه الإجابة البديهية . المقصود هو باعثه على أن يكون بعيداً عن الناس بحيث يظل وحده . وفى هذا سخرية لاذعة بمن يخالون قواعد المنطق الصورى كافية لاكساب من يلم بها حصافة العقل وحكمة التفكير .

ثم إن للويس كارول مزية أخرى على غيره من كتاب « الهذر » الموجه إلى الأطفال ، فهو لا يسوق ذلك الهذر باعتباره غاية فى حد ذاته ، بل يسخره لأغراض القصة وأحداثها ، وفى حدود خدمتها فحسب .

ولعل أهم ما يميز « ألس » على غيرها من قصص « لويس كارول » نفسه ذلك الصفاء والنقاء الفنيين . فمعظم قصصه الأخرى شعراً ونثراً مثقلة بالمواعظ الأخلاقية الصريحة أو الإيحاءات الأخلاقية و «المضمون » الأخلاقى الوعظى الذى يشوه الجانب الفنى ، مما يجعلها غير صالحة للقراءة فى عصرنا هذا لدى الصغار والكبار على السواء .

ولسنا نحب أن نغفل تلك الأبحاث السيكولوجية على الطريقة « الفرويدية » التى تصور لنا هذا العالم الرياضى والمنطقى الكاره لحياة الجامعة المتزمتة والضيق بصحبة زملائه المحدودى الخيال ، حتى أنه لا يأنس إلا إلى صحبة الأطفال الصغار ، ولا سيما الفتيات ، ارتداداً منه — أو تثبيتاً — وتشبثاً بمرحلة صباه ، حيث كانت شقيقاته الصغار السبع هالة تحيط به وتؤلهه وتستمد منه اشراقها ومرحها . فكانت « مغامرات ألس فى أرض العجائب » بمثابة « متنفس لمسلكه الهروبى » من واقعه الجاف الكالح . ومن القرائن على ذلك المسلك الهروبى أن عنوان القصة فى البداية قبل نشرها « مغامرات ألس تحت الأرض » . والإنسان الضيق بحياته مع الناس يتمنى لو هرب منهم بالغوص فى الأرض ، وتمام ذلك التأويل أن يتمنى حياة طريفة فى عالم تحت الأرض حيث غاص ، وأن يجد تعويذات وأشربة سحرية ومفاتيح

سحرية تفتح الأبواب المغلقة وتحل له مشكلة «التكيف» مع الأبواب الصغيرة كأنها جحور الفيران ، ومع الأشياء التى تبدو أكبر منه حجماً بما لا يطيق ، أو أصغر منه حجماً بما لا يطيق أيضاً .

أليست هذه رموزاً لمشكلة التكيف بين الإنسان والأشياء ؟ وأليست المناقشات « الهذرية » بين شخوص مغامرات أليس رموزاً لعقليات البشر الجامدين والمغفلين والمغرورين من حوله فى الجامعة وغير الجامعة ؟

إن مغامرات ألس فى هذا الميزان متنفس للشعور بالحبوط العصابى . ولكن هذا — ان صح — لا يغير من الواقع شيئاً : أنه حبوط أو حنق أغنى الأدب العالمى ، وأمتع الفكر العالمى فى آفاق الأرضين امتاعاً متعدد الوجوه والمستويات ، يجنى ثمراته أجيال القارئين من « سن الصفر إلى سن التسعين ، وإلى أى مدى يعيشه أبناء الفناء بعدها من السنين . . . »

٢ — ألس فى أرض العجائب

سئمت ألس الصغيرة من طول الجلوس على المقعد الخشبى فى الحديقة بجوار أختها الكبيرة بغير عمل يشغلها وحاولت النظر فى الكتاب الذى تطالع فيه شقيقتها فلم تجدفيه صوراً ولا حواراً فازداد ضجرها .ثم رأت أرنباً أبيض يجرى أمامها ثم يقف ويخرج من جيب صداره ساعة ينظر فيها ويهتف : « ويحى ! لقد تأخرت عن موعد الدوقة ! » ثم يسرع بالعدو ، فجرت وراءه ألس وقد ثار فضولها ، وإذا به يتوارى عن ناظريها فى الحقول داخل جحر تحت السور .

وبسرعة تبعته ألس إلى داخل مكمنه من غير أن تفكر فى كيفية العودة من ذلك التيه تحت الأرض . واستمرت تجرى فى الجحر وكأنه النفق الممتد ، إلى أن انحرف الجحر واتجه اتجاهاً عمودياً إلى أسفل ، وإذا بألس تسقط فى أعماقه وقد خيل إليها أنه بغير قاع لطول ما استغرقه سقوطها من الوقت ! ثم فجأة ألفت نفسها وقد استقرت فوق كومة من القش وأوراق الشجر الجافة فلم تصب بسوء ووثبت واقفة على الفور وراحت تتلفت فيما حولها ولكن الظلام كان سائداً من فوقها فلم تر شيئاً فى اتجاه سطح الأرض ، إلا أنها رأت أمامها دهليزاً طويلا جداً والأرنب يجرى فيه بكل قوته ، فأسرعت كالريح فى أثره إلى أن صارت فى بهو طويل ضيق بعد منعطف اختفى فيه الأرنب عن ناظريها ، ومن سقف البهو تتدلى مصابيح مضاءة أبصرت على نورها مائدة صغيرةمن الزجاج الصلب ليس فوقها شىء سوى مفتاح صغير من الذهب ، فخطر لألس أنه ربما كان مفتاح أحد أبواب ذلك البهو ، وراحت تجربه فيها واحداً واحداً بدون جدوى ،ثم لمحت ستاراً صغيراً منورائه باب صغير لا يزيد ارتفاعه على ٣٥ سنتيمتراً جربت فيه المفتاح الذهبى فانفتح على الفور ، وكادت ألس تطير فرحاً . .

ورأت من وراء الباب ممراً صغيراً لا يزيد اتساعه على اتساع جحر فأر ، فركعت ونظرت من خلاله فاذا أبدع حديقة اكتحلت بها عيناها ، وتمنت لو وصلت إليها لتلعب بين أزاهيرها اليانعة وشمسها الساطعة ونوافيرها الجميلة ، ولكن رأسها أبى أن يدخل فى الجحر رغم محاولاتها المتكررة !

وعادت ألس حزينة إلى المائدة الزجاجية عسى أن تجد فوقها مفتاحاً لباب أكبر من هذا ، أو كتاب تعليمات يصغر حجم الناس على نحو ما تتداخل المناظير المكبرة بعضها فى بعض ، فوجدت زجاجة لم تكن موجودة بلا شك من قبل ، وعليها هذه الكلمة : « اشربينى ! » فشربتها ، وإذا بها فى طرفة عين وقد صار طولها لا يتجاوز ٢٥ سنتيمتراً ، وفاضت نفسها بالسعادة لأنها ستتمكن الآن من المرور من هذا الباب إلى الحديقة الغناء ، ولكن ألس المسكينة خاب أملها حين توجهت إلى الباب واكتشفت أنها نسيت احضار المفتاح الذهبى من فوق المائدة لتعيد فتحه ، ولما رجعت

لتستره تبين لها أن قامتها لا تصل إلى ارتفاع المائدة وهى فى حالتها الجديدة !

ولكن قصر قامتها سمح لها باكتشاف صندوق بلورى كان تحت المنضدة ففتحته ووجدت به كعكة صغيرة جداً مكتوب عليها بالحلوى : « كلبنى » ، فأكلتها وإذا بقامتها تمتد كما تنبسط المناظر المكبرة حين تفتح فيخرج بعضها من بعض ، حتى أنها حين أطرقت لم تكد ترى قدميها لفرط طول قامتها ، وحزنت وتحيرت من الذى سيعنى الآن بقدميها ويلبسها جواربها وحذاءها ويربطه لها بعد أن صار من العسير وصولها شخصياً إلى هاتين القدمين !

وفى هذه اللحظة ارتطم رأسها بالسقف ، والحقيقة أن طولها زاد على ثلاثة أمتار ، فانحنت وتناولت المفتاح الذهبى وعادت إلى الباب الصغير وفتحته ، ثم لم تستطع أن ترى الحديقة إلا وهى منبطحة على الأرض ، وباحدى عينيها فقط ! أما الوصول إليها فأضحى أصعب عن ذى قبل بكثير . وأنشأت تبكى بدموع غزار بلغ من غزارتها أنها تجمعت فى بحيرة حول قدميها عمقها عشرة سنتيمترات ، وتمتد إلى نصف البهو . .

وبعد برهة سمعت وقع أقدام ثم رأت الأرنب الأبيض عائداً وقد اتخذ أحسن زينة وارتدى أبهى الأثواب ، وفى يديه قفاز من الجلد الأبيض ، ومعه مروحة كبيرة ، وما أن رأته ألس حتى كلمته لتسأله ماذا تصنع فى هذا المأزق ، وإذا بالأرنب يفزع منها ويهرب ملقياً بقفازه ومروحته ، فتناولتهما ألس وراحت تجلب الهواء بالمروحة لأن البكاء قد رفع حرارتها ، وجربت القفاز فاذا بيدها تدخل فيه ، فدهشت دهشة عظيمة لأن قفاز الأرنب صغير جداً ، وأسرعت إلى المائدة لتقيس ارتفاعها إليها ، فاذا بقامتها وقد انكمشت فصارت لا تتجاوز الستين سنتيمتراً ، وهى مستمرة فى الانكماش . وسرعان ما اكتشفت أن السر فى تلك المروحة وهوائها ، فألقتها من يدها بسرعة قبل أن تتلاشى بالكلية ؛ وإذا بها تنزلق وتسقط على الأرض ، فتغمرها المياه المالحة حتى ذقنها . وهى مياه البحيرة التى تجمعت من دموعها عندما كان طولها ثلاثة أمتار ! وسمعت فى الماء صوتاً فنظرت وخيل إليها أنها ترى فرس البحر يسبح نحوها ، إلا أنها تذكرت ضآلة حجمها وأدركت أن فرس البحر ليس سوى فأر انزلق فى البحيرة مثلها ، وسرعان ما خرجت من الماء وانتظرت حتى تجف ثيابها وهى تتحدث إلى الفأر وإلى بضعة حيوانات وطيور التقت بها فى تلك البركة من بينها حمامة مطوقة وببغاء صغيرة وفرخ نسر وجعلت تلاعبها ويلاعبونها . ثم تذكرت قطتها دينا وراحت تحكى لهم حكايتها ، فهربوا كلهم من ذكر القطة ، وشرعت ألس تبكى لفراقهم وإذا بها ترى الأرنب وقد عاد للبحث عن قفازه ومروحته ، وما أن رآها فى حجمها الصغير حتى ظنها خادمته « مارى آن » وطلب إليها أن تذهب بسرعة إلى البيت لتأتيه بقفاز ومروحة . فأسرعت حيث أشار لها فاذا بيت صغير لطيف عليه لافته تحمل اسم الأرنب فدخلته وإذا بها تجد زجاجة شربت مما فيها جرعة فتضخم حجمها بحيث كاد البيت يتصدع . وبعد قليل حضر الأرنب ومعه صديقته الحرباء فقذفا من خلال نوافذ البيت بالحصباء فاذا بها تتحول على الفور إلى كعكات صغيرة جداً تذوقتها ألس فاذا بحجمها ينكمش ، فخرجت من باب البيت لتجد جمعاً كبيراً من الحيوانات والطيور فى انتظارها فهجموا عليها ، وهربت منهم ناجية بنفسها إلى الغابة .

وفى الغابة رأت دودة جالسة فوق قمة نبات عيش الغراب ، يدخن نرجيلة طويلة ، فنادتها فلم تعرها التفاتاً ، وراحت تتوسل إليها أن تدلها على وسيلة تكبر بها بعض الشىء ، لأن طولها الآن سبعة سنتيمترات ، ولكن الدودة أصرت على أن ذلك الطول مناسب جداً لأى كائن حى — فقد كان طول الدودة سبعة سنتيمترات بالضبط ! وبعد الحاح شديد هبطت الدودة عن قمة

النبات العالى وقالت لألس وهى تختفى بين ألفاف الأعشاب : « أحد جانبى هذا النبات يجعلك تكبرين ، وجانبه الآخر يجعلك تصغرين » !

ولما كان عيش الغراب نباتاً مستديراً تمام الاستدارة فقد تحيرت ألس ماذا تصنع ؟ ثم بسطت يديها على طولها وقطعت لنفسها فى كل يد قطعة منه كبيرة ، وأكلت مما فى يمناها فاذا ذقنها يرتطم بقدميها من فرط ما أصابها من القصر ، وأسرعت تأكل مما فى يسراها فاذا بعنقها يطول كأنه ساق نبات ! ولكنها بقضمة من هنا ثم قضمة من هناك استطاعت أن تصل إلى ارتفاع اثنين وعشرين سنتيمتراً ، بحيث استطاعت أن تدخل أول بيت صغير صادفها فى طريقها ، وكان بيت الدوقة نفسها ! ووجدتها مشتبكة فى مشاجرة مع طباختها ، وهما تتقاذفان بالصحاف وأوانى المطبخ ! وكانت الدوقة تحمل طفلا لها ، وفى وطيس المشاجرة قذفت بالطفل أيضاً ، فاذا به يسقط فى أحضان ألس ، وما أن نظرت فى وجهه حتى وجدته خنزيراً رضيعاً ، لم يلبث أن قفز إلى الأرض وجرى فاختفى داخل الغابة !

ورأت ألس فوق إحدى الأشجار قطة دلتها على الطريق ، وقالت لها : « من ها هنا ستجدين بيت بائع القبعات ، أما من هناك فستجدين بيت الأرنب الصغير وكلاهما مجنون على كل حال ! » .

واختارت طريق الأرنب ، فاذا فى حديقة بيته شجرة كبيرة مدت تحتها مائدة الشاى ، وقد جلس إليها الأرنب وفى ضيافته صانع القبعات ، وبينهما فأرة نوامة يتكئ كلاهما عليها ، وقد تجمع ثلاثتهم فى جانب واحد من المائدة الكبيرة . وبعد الحاح من ألس سمح الأرنب وبائع القبعات لها بالجلوس ، ودارت بين الثلاثة أحاديث غريبة ، وكان صانع القبعات فظاً شكساً فلم يلبث الشجار أن نشب بينه وبين الأرنب ، واستيقظت الفأرة النوامة فهجم عليها ليغرقها فى أبريق الشاى ، وهربت ألس ، وقادتها قدماها فى النهاية إلى الحديقة الغناء التى تنشدها ، وبها ملعب الكروكيت الخاص بملكة الكوبة (وهى ملكة ورق اللعب وعلامتها القلب) وهذه الملكة مولعة بقطع رقاب الناس ، وعبارتها الأثيرة : « اقطعوا رقبته فوراً ! » تنطق بها لأتفه الأسباب ، فلم تعجب هذه الحال ألس ، وقبحت الحديقة الغناء فى عينيها ، إلا أن الملكة أعجبت بها وبعثت بها مع حيوان خرافى لزيارة السلحفاة واستمعت بعض الوقت إلى حكاياتها وأحاديثها الحافلة بالهذر ، ثم شاهدت حفلا راقصاً أقامته جماعة من الجنبرى . ودعتها السلحفاة والحيوان الخرافى لسرد مغامراتها منذ رأت الأرنب الأبيض ، ولكنها ما أن مضت فى السرد هنيهة حتى تناهى إلى سمعهم صوت مناد يقول : « لقد بدأت المحاكمة ! » ووجدت صاحبيها يهرعان مع خلق كثيرين إلى القصر ، فجرت معهم إلى هناك . .

وعلى العرش تربع ملك وملكة الكوبة ، وقد غصت القاعة بأخلاط من الطير والحيوان ومجموعة كاملة من أوراق اللعب ، وقد وقف الأعرج (ورقة اللعب التى تحمل صورة الشاب) مكبلا بالأغلال ، وتولى الأرنب النفخ فى البوق باعتباره ياور القصر وحاجب الجلسة ، وفى يده قائمة المتهمين والشهود (الرول) . وعلى مائدة صغيرة تتوسط القاعة صحفة ضخمة بها فطائر ، وفرحت ألس لأنها ظنتها ستوزع على الحاضرين عقب انتهاء المحاكمة . وشرع الأرنب الأبيض يقرأ عريضة الدعوى ، فاذا بالمتهم قد سرق هذه الفطائر التى صنعتها ملكة الكوبة بيديها .

ونودى على الشاهد الأول وهو صانع القبعات فخلط فى كلامه ، فصرفه الملك ، وأرسلت الملكة وراءه من يقطع رقبته . ونودى الشاهد الثانى فاذا به ألس نفسها ، فقررت أنها لا تعرف عن هذا الأمر شيئاً ، وهز الملك رأسه بوقار وهو يسجل هذا الدليل الهام ! ثم دعى المحلفون لاصدار قرارهم ، ولكن الملكة أصرت على نطق الملك بالحكم قبل أن يصدر المحلفون

قرارهم بالتجريم أو البراءة ، وثارت ألس لهذه المخالفة الجريئة لأصول العدالة ، وأعلنت رأيها هذا فثارت الملكة وأمرت بقطع رقبتها ، وكانت ألس قد أكلت من بقية النبات الذى بيدها فاستردت قامتها الأصلية ، وبدت أمام ملكة الكوبة كالمارد ، وصاحت بها :

— ومن الذى يكترث لأحكامكم ، وما أنتم إلا أوراق لعب !

وانتفض ورق اللعب وطار فى الهواء وأخذ يتساقط عليها فى حركة هجوم ، فراحت تذوده بيديها وهى تصيح ، وإذا بها تلفى نفسها راقدة على المقعد ورأسها فى حجر أختها التى كانت تذود بلطف بضعة أوراق شجر جافة عن وجهها سقطت من الشجرة التى تستظلان بها ، وتقول لها :

— استيقظى يا ألس ، فقد طال نومك ، وحان موعد عودتنا لتناول الشاى .

٣ — شذرات من القصة

— أن طولها الآن عشر بوصات فحسب .. وانتظرت بضع دقائق لترى هل سيحدث لها مزيد من الانكماش ، وقد تولاها شىء من القلق ، فى هذا الخصوص وقالت لنفسها : « لأن هذا قد ينتهى بتلاشى تماماً مثلما تنطفىء الشمعة . وإنى لأتساءل كيف يصير شكلى عندئذ ؟ » وحاولت أن تتصور كيف يبدو لهب الشمعة بعد نفخها وانطفائها ، لأنها لم تستطع أن تتذكر مشاهدتها لشىء من هذا القبيل إطلاقاً .

— « عجباً لأمرى أى عجب ! هاأنذا أتضخم مثلما ينبسط أضخم المناظير المكبرة عندما يفتح عن آخره ! وداعاً يا قدمى ! » فانها حين نظرت إلى قدميها خيل إليها أنهما غابتا عن ناظريها تقريباً لفرط إبتعادهما . « يا لقدمى الصغيرتين المسكينتين ! منذا الذى سيلبسكما الحذاء والجورب بعد الآن يا عزيزتى ؟ أنا واثقة بأنى لن أستطيع ذلك ! فسأكون على مسافة بعيدة جداً عنكما بحيث لا أعنى نفسى بالتفكير فى أمركما ، فعليكما الآن أن تتدبرا أمركما على قدر استطاعتكما » . ثم قالت لنفسها : « ولكنى يجب أن أتلطف معهما وإلا فقد يخطر لهما أن ترفضا السير حيث أريد أن أمضى ! فلأفكر فى هذا . لا بأس بتقديم زوج من الأحذية الجديدة إليهما كلما حل عيد الميلاد » .

— « من أنا ؟ فلأفكر : هل أنا هذا الشخص بعينه عندما استيقظت فى الصباح ؟ يخيل إلى أنى شعرت عندما استيقظت ببعض الاختلاف . ولكن ان لم أكن نفس الشخص فالسؤال التالى من عساى أكون ؟ هذه هى المعضلة الكبرى ! » .. وشرعت تفكر فى سائر الأطفال الذين عرفتهم ممن فى مثل سنها ، لترى هل تمت المبادلة بينها وبين أحد منهم ، وقالت : « أنا واثقة كل الثقة بأننى لست آدا ، لأن شعرها ينمو فى حلقات طويلة جداً ، وشعرى ليست به حلقات على الاطلاق . وأنا واثقة أيضاً بأننى لست مابل ، لأنى أعرف جميع أنواع الأشياء ، أما هى فرباه ! أنها لا تعرف إلا أقل القليل ! وفضلا عن هذا فهى هى وأنا أنا . ويحى ! أن كل هذا محير أشد الحيرة ! سأجرب الآن لأتبين هل أعرف جميع الأشياء التى كنت أعهدنى أعرفها من قبل . سنرى ! ٤ ٥ ١٢ و ٤ ٦ ١٣ و ٤ ٧ ويحى ! لن أصل بهذا المعدل إلى عشرين . ومع هذا فجدول الضرب لا قيمة له . فلنجرب الجغرافيا : لندن عاصمة باريس . وباريس عاصمة روما . وروما .. لا ! هذا كله خطأ . أنا متأكدةمن هذا ! لا بد أنه حصل تبادل بينى وبين مابل ! سأجرب تسميع مقطوعة كيف استطاع التمساح الصغير » . وعقدت يديها فى حجرها كأنها تزمع أن تسمع دروسها وراحت تلقى المقطوعة ، إلا أن صوتها وقع فى أذنيها موقعاً خشناً غريباً . فقالت ألس المسكينة : « أنا واثقة أن الكلمات ليست على هذا النحو » . وامتلأت عيناها بالدموع مرة أخرى وهى ماضية فى طريقها ، فانزلقت قدمها وبعد

برهة : طش ! إذاها غارقة إلى ذقنها فى ماء ملح : وكان أول ما خطر لها أنها سقطت على نحو ما فى اليم ، فقالت لنفسها : « أستطيع حينئذ أن أعود بسكة الحديد » . ثم تبينت أنها وقعت فى بركة الدموع التى سفحتها عندما كان طولها تسعة أقدام . وقالت ألس وهى تسبح هنا وهناك تحاول أن تجد وسيلة للخروج من البركة : « ليتنى لم أسرف فى البكاء ! وأحسبنى سأنال عقابى على كثرة البكاء بالغرق فى دموعى ! وسيكون ذلك شيئاً عجيباً ولا شك ! وان كان كل شىء يبدو فى هذا اليوم عجيباً » .

— « أحسبنى لا بد لى أن آكل أو أشرب شيئاً ما . ولكن السؤال الكبير هو ما هذا الشىء ؟ » وكان السؤال الكبير يقيناً ماذا تأكل أو تشرب ؟ وجعلت ألس تنظر فى كل ما حولها من الأزهار وأعواد العشب ولكنها لم تر شيئاً يصلح فى نظرها أن تأكله أو تشربه فى هذه الظروف . وأبصرت نباتاً كبيراً من نوع عيش الغراب نامياً بالقرب منها وإرتفاعه يقرب من ارتفاعها ، ولما نظرت تحته وعن جانبيه وخلفه ، خطر لها أن تنظر أيضاً إلى ما فوق قمته ، واستطالت فى وقفتها ناهضة على أخمص قدميها وألقت نظرة فوق حافة عيش الغراب ، فالتقت عيناها على الفور بعينى دودة كبيرة زرقاء كانت جالسة فوق قمة ذلك النبات معقودة اليدين على صدرها تدخن نرجيلة أو غليوناً طويلا جداً بهدوء غير ملقية بالها إليها أو إلى أى شىء آخر . فظلت الدودة تنظر إلى ألس وألس تنظر إليها برهةمن الزمن فى صمت وأخيراً نزعت الدودة غليونها الطويل من فمها ، وقالت لها فى صوت يداعبه النعاس ؟ من أنت ؟ وهى ليست بالفاتحة المشجعة على الحديث ، فأجابتها ألس على استحياء : « أنا . . . لا أكاد أدرى يا سيدتى من أنا فى الوقت الحاضر . ولكنى على الأقل أعرف من كنت عندما استيقظت هذا الصباح . وان كنت أعتقد أننى لا بد قد تغيرت عدة مرات منذ ذلك الحين » فقالت الدودة بجفاء : « ما الذى تعنين بهذا الكلام . فسرى نفسك ! » فقالت ألس : « لا أستطيع أن أفسر نفسى يا سيدتى لأنى لست نفسى كما ترين » . فقالت الدودة : « بل لست أرى شيئاً » . فأجابتها ألس بغاية التهذيب : « أخشى أن أكون عاجزة عن زيارة التوضيح ، لأنى شخصياً لا أستطيع أن أفهم الموضوع كى أفهمك إياه . واختلاف حجمى عدة مرات فى يوم واحد مسألة محيرة لعقلى جداً » . فقالت الدودة : « ليس فى هذا ما يحير » فقالت ألس : « لعلك لم تكتشفى ذلك بعد . ولكنك عندما تتحولين إلى شرنقة — وهذا ما سيحدث لك يوماً ما كما تعلمين — ثم عندما تتحولين مرة أخرى إلى فراشة ، ستجدين الأمر غريباً بعض الشىء . أليس كذلك ؟ » فقالت الدودة : « مطلقاً » فقالت ألس : « ربما كان شعورك مختلفاً عن شعورى . فكل ما أعرفه أن ذلك يبدو لى أنا غريباً جداً » . فقالت الدودة : « أنت ! ؟ من أنت ؟ » فعاد بهما هذا السؤال إلى مستهل الحديث بينهما . واستاءت ألس بعض الشىء لأن الدودة لا تتفوه إلا بعبارات مقتضبة جداً ، فبسطت قامتها وشبت على إخمص قدمها وقالت بكل جد : « أعتقد أنك ينبغى أن تخبرينى أولا من أنت » . فسألتها الدودة : « لماذا ؟ » فكان هذا سؤالا آخر محيراً ، ولم تستطع ألس أن تعثر فى ذهنها على سبب واحد وجيه ، وخيل إليها أن الدودة متكدرة المزاج جداً فتحولت عنها لتنصرف ، فنادتها من خلفها : « إرجعى لدى شىء هام أقوله لك ! » وتوسمت ألس الخير فى ذلك القول فعادت إليها ، وعندئذ قالت الدودة : « تحكمى فى غضبك » فقالت ألس وهى تزدرد غضبها على قدر استطاعتها : « أهذا كل ما أردت أن تقوليه لى » فقالت الدودة : « لا » . وظلت بضع دقائق تنفث الدخان من غير أن تتكلم ، ولكنها أخيراً بسطت ذراعيها المطويين فوق صدرها وأخرجت الغليون الطويل من فمها مرة أخرى وقالت : « إذن أنت تعتقدين أنك

تغيرت ؟ » فقالت ألس : « أخشى أن يكون الأمر كذلك يا سيدتى . فلم يعد فى إستطاعتى أن أتذكر الأشياء كما كنت أعهدنى أتذكرها ، وحجمى لا يستقر على حال واحدة عشر دقائق متوالية ؟ » :

— ابتسمت القطة عندما رأت ألس ، فخطر لها أنها تبدو طيبة القلب ، ثم قالت فى نفسها ولكن لها أظفاراً طويلة جداً وأسناناً كثيرة كبيرة ، فينبغى أن تعاملها باحترام . وشرعت تقول لها فى كثير من الخجل وهى لا تدرى هل يعجبها كلامها أم لا حين تناديها « يا هرة تشيشاير » ، ولكن القطة استقبلت هذا النداء بمزيد من الابتسام ، فقالت ألس فى نفسها لا بد أن هذا النداء راقها ، واستطردت تقول لها : « هل لك أن تدليني من فضلك على الطريق التى ينبغى أن أسلكها من هنا ؟ » فقالت لها القطة : « هذا يتوقف إلى حد كبير على المكان الذى تريدين أن تصلى إليه » . فقالت ألس : « أنا لا أبالى كثيراً إلى أين أمضى » . فقالت القطة : « إذن ليس مهماً أى طريق تسلكين ! » فقالت ألس على سبيل التوضيح : « أنا لا أبالى أين أمضى بشرط أن أصل إلى مكان ما » . فقالت القطة : « هذا شىء محتوم إن مشيت فى أى إتجاه مسافة كافية » . وأحست ألس أن هذا شىء لا يمكن إنكاره ، فألقت عليها سؤالا آخر : « أى نوع من الناس يعيشون بالقرب من هنا » ؟ فقالت القطة وهى تلوح بمخلبها الأيمن : « فى ذاك الاتجاه يعيش صانع قبعات » . ثم لوحت بمخلبها الآخر قالت : « أما فى ذاك الاتجاه فيعيش أرنب برى . وسواء عليك أن تزورى أيهما شئت ، فكلاهما مجنون » فقالت ألس : « ولكنى لا أريد أن أقيم بين مجانين » . فقالت القطة : « لا حيلة لك فى هذا . فكلنا ها هنا مجانين . وأنا مجنونة . وأنت مجنونة » . فقالت ألس « وكيف عرفت أننى مجنونة ؟ » فقالت القطة : « لا بد أن تكونى مجنونة ، وإلا لما جئت إلى هنا » . ولم تجد ألس فى ذلك القول حجة ناهضة ، ومع هذا أردفت تقول : « وكيف عرفت أنك مجنونة ؟ » فقالت القطة : « أولا الكلب ليس مجنوناً . هل تقرين هذا الكلام ؟ » فقالت ألس : « أظن هذا » . فاستطردت القطة : « وأنت ترين الكلب يزمجر عندما يغضب ويهز ذيله عندما يسر . أما أنا فأزمجر عندما أسر ، وأهز ذيلى عندما أغضب . فأنا إذن مجنونة ! » فقالت ألس : « أنا أسمى ذلك قرقرة لا زمجرة » . فقالت القطة : « سمه ما تشائين . فأنا مجنونة على كل حال ! » .

— كانت تحت الشجرة أمام البيت مائدة ممدودة ، والأرنب البرى وصانع القبعات يتناولان الشاى فوقها وبينهما فأرة نوامة يستخدمها الاثنان وسادة يريحان فوقها مرفقيهما ويتبادلان الأحاديث فوق رأسها . وكانت المائدة كبيرة ولكن الثلاثة إحتشدوا معاً عند ركن منها . وصاحوا عندما رأوا ألس مقبلة : « لا مكان ! لا مكان ! » فقالت ألس باستنكار وهى تستقر فى مقعد وثير ذى ذراعين عند أحد طرفى المائدة : « بل ثمة متسع كبير ! » فقال الأرنب البرى بلهجة مشجعة : « هل لك فى شىء من النبيذ ؟ » فنظرت ألس فى طول المائدة وعرضها فلم تر فوقها شيئاً سوى الشاى فقالت : « ولكن لا أرى هنا نبيذاً ! » فقال الأرنب البرى : « الواقع أنه ليس لدينا نبيذ » . فقالت ألس بغضب : « إذن لم يكن من التهذيب فى كثير أن تعزم على به » . فقال الأرنب البرى : « ولم يكن من التهذيب فى كثير أن تجلسى من غير أن نوجه إليك الدعوة » . فقالت ألس : « لم أكن أدرى أنها مائدتكم لأنها معدة بصحاف وفناجين يزيد عددها على ثلاثة بكثير » . فقال صانع القبعات : « شعرك بحاجة إلى قص » . وكان قد لبث ينظر إلى ألس برهة من الزمن بفضول شديد فكان هذا أول كلام يوجهه إليها ، فاجابته ألس بشىء من الصرامة : « ينبغى ألا توجه ملحوظات شخصية لأحد . فهذا سوء أدب ضخم » . ففتح صانع القبعات عينيه على سعتهما عندما سمع هذا

الكلام ، ولكن كل ما قاله لها هو : « لماذا يشبه الغراب مائدة الكتابة ؟ » فقالت ألس فى نفسها : « يبدو أننا سنحظى بشىء من المرح الآن ! وإنى لمسرورة لأنهما شرعا يتطارحان الأحاجى » . وقالت بصوت مرتفع : « أعتقد أنى أعرف الجواب الصحيح » . فقال الأرنب البرى : « أتزعمين أنك عرفت الجواب المطلوب ؟ » فقالت ألس : « بالضبط » فقال الأرنب البرى : « إذن قولى لنا ماذا تعنين » فقالت ألس بتسرع : « إنى أعنى ما أقول . وما أعنيه هو ما أقوله » . فقال صانع القبعات : « ليس هذا هو ذاك على الأطلاق ! لكأنى بك تقولين بالمثل أن عبارة (أنا أرى ما آكل (هى بعينها (أنا آكل ما أرى ! (» .

وساد الصمت برهة وجلسوا بغير حديث وراحت ألس تفكر فى كل ما تستطيع أن تذكره عن الغربان وموائد الكتابة . ولم يكن ذلك بالشىء الكثير فى الواقع . وكان صانع القبعات هو الذى بدأ بتمزيق حجاب الصمت قائلا : « فى أى يوم من الشهر نحن ؟ » وكان قد أخرج ساعته من جيبه وراح ينظر إليها بقلق ويهزها بين الحين والحين ويلصقها بأذنه ، ففكرت ألس قليلا ثم قالت : « فى اليوم الرابع » فتنهد صانع القبعات وقال : « أخطأت فى يومين ! » . . ونظرت ألس من فوق كتفه فى فضول وقالت : « يا لها من ساعة عجيبة ! إنها تدل على تاريخ اليوم من الشهر ولا تدل على ميقات الساعة من اليوم ! » فغمغم صانع القبعات قائلا : « ولماذا ينبغى أن تدل على ميقات الساعة ؟ هل ساعتك أنت تدلك على السنة التى نحن فيها ؟ » فأجابت ألس على الفور : « كلا بالطبع . لأن السنة الواحدة تظل بدون تغيير وقتاً طويلا جداً » .

— ولما لاحظ صانع القبعات أن الفأرة النوامة عادت للاستغراق فى النوم صب قليلا من الشاى الساخن فوق أنفها ، فهزت رأسها بضيق وقالت من غير أن تفتح عينيها : « طبعاً طبعاً . هذا ما كنت أنا نفسى أهم بقوله لولا أنك قلته ! » وإلتفت صانع القبعات إلى ألس مرة أخرى وسألها : « هل عرفت حل اللغز ؟ » فأجابته ألس : « لا . لقد نفدت حيلتى . فما الحل ؟ » فقال صانع القبعات : « لا علم لى بذلك على الاطلاق ! » وقال الأرنب : « ولا أنا ! » فتنهدت ألس فى إعياء وقالت : « أعتقد أنه يجمل بكما أن تصنعا شيئاً أفضل من تضييع وقتكما فى إلقاء ألغاز لا حل لها » . فقال صانع القبعات : « لو أنك عرفت الوقت مثلما أعرفه أنا لما تحدثت عن تضييعه » .

— قال الأرنب البرى وهو يتثاءب : « أقترح أن نغير الموضوع . فقد سئمت هذا الحديث ، وليت الآنسة الصغيرة تحكى لنا حكاية » . فقالت ألس وقد أزعجها الاقتراح « لا أحسبنى أعرف حكاية أرويها » . فصاح الاثنان بصوت واحد « إذن يجب أن تحكى لنا الفأرة النوامة حكاية . إستيقظى أيتها الفأرة النوامة ! » وراحا يقرصانها من جانبيها فى وقت واحد ، ففتحت الفأرة النوامة عينيها ببطء وقالت بصوت ضعيف أجش : « لم أكن نائمة . فقد سمعت كل كلمة قلتموها » . فقال الأرنب البرى : « إحكى لنا حكاية ! » وتوسلت إليها ألس قائلة : « نعم أرجوك أن تفعلى ! » وقال صانع القبعات : « وأسرعى فى سردها وإلا نمت مرة أخرى قبل أن نتفرغى منها ! » فقالت الفأرة النوامة فى سرعة شديدة : « يحكى أنه كانت فى سالف العصر والأوان ثلاث شقيقات صغيرات ، وكانت أسماؤهن على التوالى إلسى ولاسى وتلى . وكن يعشن معاً فى قاع بئر » . فقالت ألس التى تبدى على الدوام إهتماماً عظيما بمسائل الطعام والشراب : « وماذا كن يأكلن ؟ » فقالت الفأرة النوامة بعد أن فكرت دقيقة أو دقيقتين : « كن يعشن على العسل الأسود » فاعترضت ألس بلطف قائلة : « ما كن ليصنعن هذا وإلا أصابهن من هذا الطعام مرض » . فقالت الفأرة النوامة : « وكذلك كن فعلا : مريضات

جداً ! » وحاولت ألس أن تتصور إمكان مثل هذا الأسلوب الشاذ من الحياة ، ولكن الأمر أعياها ، فقالت للفأرة النوامة : « ولكن لماذا كن يعشن فى قاع بئر ؟ » وقاطع الأرنب البرى الحديث قائلا لألس فى إلحاح شديد : « تناولى مزيداً من الشاى » . فأجابته ألس بلهجة تنم على الاستياء : « ولكنى لم أتناول منه شيئاً بعد . فكيف يمكننى أن أتناول المزيد منه ؟ » فقال صانع القبعات : « لعلك تعنين أنك لا تستطيعين أن تتناولى منه أقل مما تناولت لا أكثر ، فمن السهل جداً أن يزيد الإنسان على لا شىء ، ولكن يستحيل عليه أن ينتقص من لا شىء شيئاً ! » فقالت ألس : « لم يطلب أحد منك أن تبدى رأيك » . فسألها صانع القبعات بلهجة المنتصر : « من الذى يوجه الآن ملاحظات شخصية ؟ » ولم تدر ألس بماذا ترد على هذا الكلام فصبت لنفسها شيئاً من الشاى ، وأخذت جانباً من الخبز والزبد ثم إلتفتت إلى الفأرة النوامة وأعادت عليها سؤالها : « لماذا كن يعشن فى قاع بئر ؟ » فصمتت الفأرة النوامة مرة أخرى دقيقة أو دقيقتين لتفكر فى هذا السؤال ثم قالت : « لأنه كان بئر عسل أسود » فقالت ألس بغضب شديد : « لا وجود لشىء من هذا القبيل ! » ولكن صانع القبعات والأرنب البرى صاحا بها : « شسن ! شسن ! » وقالت الفأرة النوامة بامتعاض : « إذا لم يسعك أن تكونى مهذبة فمن الخير لك أن تتمى الحكاية أنت » . فقالت ألس بتواضع شديد : « لا . أرجوك أن تستمرى ! لن أقاطعك بعد ذلك . بل إنى أقول أنه قد توجد بئر من هذا القبيل » .